مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2022/07/03م
تاريخ القبول: 2022/08/29م

مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني

د. سعيد بن محمد بن علي آل موسى *

smalmosa@kku.edu.sa

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني وبيانها والكشف عن أساليبها، تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومجموعة من المباحث والمطالب، هي المغالطات لغة واصطلاحًا، ثم الحجاج لغة واصطلاحًا، ثم كيف تنشأ المغالطة، الاستلزام التخاطبي والمغالطة: مبدأ التعاون: نماذج من المغالطة في قصة موسى وفرعون. وكانت أهم نتائج الدراسة ما يلي: تنوعت المغالطات التي استخدمها فرعون في حواره، وكانت أشهر مغالطاته استخدام السلطة والقوة، والمغالطة بقلب الحقائق، أو بِحَمْلِ المتلقين على الإقرار بالمراد، أو بالترهيب والتهديد، والمغالطة بالهروب عن طريق طرح فكرة مختلفة للتضليل، أو بشخصنة الأمور، وذِكر زلات الخصم، أو بالكذب والتدليس، والمغالطة العاطفية القائمة على إثارة عواطف الجمهور والتحريض ضد الطرف الآخر... إلخ. وجميع ذلك يشير إلى شخصية متجبرة نرجسية لا تقبل الحوار ولا ترى إلا نفسها.

الكلمات المفتاحية: مبدأ التعاون، الاستلزام التخاطبي، التداولية، المغالطة.

* أستاذ اللغويات - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد – المملكة العربية السعودية.

للاقتباس: آل موسى، سعيد بن محمد بن علي، مغالطات فرعون الحجاجية مع موسى عليه السلام في القصص القرآني، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب، جامعة ذمار، اليمن، مج5، ع1، 2023: 601-638.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

OPEN ACCESS
Received: 03-07-2022
Accepted: 29-08-2022

مجلة الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

Pharaoh's Argumentative Conversational Fallacies with Moses, peace be upon him, in Quranic Stories

Dr. Saeed Mohammed Ali Al Mosa *

smalmosa@kku.edu.sa

Abstract:

The study aims to investigate the argumentative fallacies of Pharaoh with Moses, peace be upon him, in the Qur'anic stories, with detailed explanation and methods. The study comes in an introduction and some sections covering various dimensions such as the concept of fallacies both literally and contextually, argumentation, how fallacies arise, interactive conversational pattern imperative, cooperation principle and some fallacy examples of Pharaoh and Moses story in Quran. The study revealed that Pharaoh's dialogue fallacies came in various forms including use of power, reversing truth falsification, coercive actions against audience to submit and approve what he wanted, evasive presentation of completely different notions, personalization , disclosing opponent's lapses, telling lies, deceit, emotional fallacies to evoke and instigate people against the other party, etc. Such acts manifested a narcissist arrogant character that rejects dialogue and acknowledges none but itself. .

Keywords: Cooperation Principle, Conversational Imperative, Pragmatics, Fallacy.

* Professor of Linguistics, Department of Arabic language, College of Human Sciences, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.

Cite this article as: Al Mosa, Saeed Mohammed Ali, Pharaoh's Argumentative Conversational Fallacies with Moses, peace be upon him, in Quranic Stories, Journal of Arts for linguistics & literary Studies, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen, V 5, I 1, 2023: 601 -638.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
https://doi.org/10.53286/arts.v5i1.1438

مقدمة:

الخطاب القرآني خطاب توجيه للمكلفين، ووعظ للنفوس والقلوب، إلا أنه جاء ليناقش العقول بالبراهين ويحدِث الإقناع بالحجج، فهو كما قال الله تعالى عنه ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ (يس: 70) والمنذِر لا بد أن يملك من الحجج ما يمكنه من تحقيق الإنذار، وإلا كان الأمر عبثا، وقد حكى القرآن وظيفة الرسل ومنهم محمد -ﷺ- المرسل بالقرآن: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ (النساء: 165). وقِوام الرسالة هو إقامة الحجة.

ويشكل الحجاج أبرز الظواهر اللغوية في الخطابات عامة؛ لأننا نتكلم لكي نحاجج وليس فقط لنصِف أو نُخبِر، وقد اهتمت الدراسات اللسانية المعاصرة بالحجاج وجعلت له روافد كثيرة، وتُعدُّ المغالطة الحجاجية جزءًا كبيرًا منه، وأصبح تبيين ذلك وإيضاحه في الخطابات أمرًا ذا بال للوقوف على أساليب المغالطين، والاستفادة منها في الكشف عن المقاصد والشخصيات.

وقد تعددت الدراسات التي تناولت المغالطة الحجاجية، وسوف أشير إلى طرف منها حتى لا يطول المقال، لا سيما أنه لم تختص واحدة منها بالمغالطات الواردة في حوارات موسى وفرعون في القرآن الكريم مع كثرتها، كدراسة:

زحاف (يوسف): المغالطات الحجاجية وأهميتها التواصلية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية العدد، 49، لعام 2019م، ودراسة مصطفى (عادل): المغالطات المنطقية، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة،2019م، ودراسة العمري (محمد): دائرة الحوار ومزالق العنف: كشف أساليب الإعنات والمغالطة، مساهمة في تخليق الخطاب، 2002م، ودراسة شعبان (توفيق) وبلحاجي (فتيحة): المغالطات والسفسطات المنطقية في بخلاء الجاحظ، عام 2021م. ودراسة الراضي (رشيد) السفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجه التداولي الجدلي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، 2010م، ودراسة بلبع (عيد): المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد: تأصيل منهجي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، 2017م، ودراسة إيمان (جدي)، وأحلام(روابحي): الحجاج والمغالطة: دراسة تداولية في سورة الفرقان، جامعة

العربي التبسي، 2017م، ودراسة عبد اللطيف (خميس): المغالطات في ردود منكري الرسالات في القرآن الكريم... وغيرها.

ولما كان القرآن خطاب نذارة وبشارة فقد احتفى بالمحاججة والإقناع، إلى درجة أنه يناقش الخصم اللدود ويفحمه بمسلمات لا يُنكرها ذلك الخصم؛ ليقيم عليه الحجة، وقد جاءت قصص القرآن ثرية بمواقف الحجاج التي تُقدَّمُ فيها الحجةُ تِلْوَ أختها تُبهِرُ العقول السليمة، وتُلين النفوس السوية.

غير أن هناك من الناس طائفةً إن عجزت عن الحوار بالحجة، وإقامة الدليل اتجهت لطُرقٍ مُلتوية، بقصد تغيير مسار الحوار، أو رد الحق أو التّعمِيَة على الحقيقة أو تلبيسها بالباطل أو ما شابهه، وهي أمور تستوجب الكشف والبيان للوقوف على أساليب فرعون المغالطة وبيان كيفية استخدامه للمغالطات الحجاجية، حيث تكون في ظاهرها القبول، لكنها في الحقيقة حجج باطلة؛ لذلك جاءت هذه الدراسة لتحاول الكشف عن هذا الحجاج المغالط وأساليبه في قصة فرعون مع موسى -عليه السلام- في القرآن الكريم.

ما هي أهداف البحث؟ وما منهجه؟ وما خطته؟؟ كيف تم تقسيمه؟

أهداف البحث:

- **بيان المغالطات في اللغة والاصطلاح وما هو مقصود وغير مقصود.**
- **بيان المغالطات الحجاجية التي استخدمها فرعون مع موسى عليه السلام في القصص القرآني.**
- **بيان أكثرها استخدامًا من قبل فرعون.**

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي وذلك عن طريق جمع المغالطات الحجاجية لفرعون مع موسى عليه السلام في القصص القرآني وتحليلها وبيان أساليبها المختلفة.

خطة البحث وتقسيمه:

تم تقسيم البحث على خطة ومجموعة من المباحث والمطالب، وهي المغالطات لغة واصطلاحًا، ثم الحجاج لغة واصطلاحًا، ثم كيف تنشأ المغالطة، الاستلزام التخاطبي والمغالطة: مبدأ التعاون: نماذج من المغالطة في قصة موسى وفرعون: ثم خاتمة وفهارس للمصادر والمراجع وللموضوعات.

المغالطة لغة واصطلاحا:

في اللغة: "الغين واللام والطاء كلمةٌ واحدةٌ، وهي الغَلط: خلاف الإصابة. يقال: غَلِط يَغْلَط غَلَطاً. وبينهم أُغلوطةٌ، أي شيءٌ يُغالِط به بعضُهم بعضا"[1].

ويقال في اللغة: غَلِطَ في الأمر يغلطُ غلطًا، إذا جانب الصواب، والغلط: عدم معرفة وجه الصواب في الشيء، وتقول العرب: غَلِط في منطقه، وغَالَطَهُ مُغالَطة، وتغليط الرجل أن تقول له: غلطت[2].

أما في الاصطلاح فقد اختلفت تعريفاتهم للمغالطة فقيل هي حجاج خاطئ ولو مع حسن نية[3]. وقيل: هي الخدعة والحيلة[4] وقيل هي كالسفسطة: "قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته"[5]، أو هي "أنماط شائعة من الحجج الباطلة التي يمكن كشفها في عملية تقييم الاستدلال غير الصوري"[6].

ومن خلال التعريفات السابقة ندرك أنها -عند الأكثرين- استدلال فاسد يبدو مقنعا سيكولوجيا، لا منطقيا، يعمد إلى الغلط المقصود بهدف التأثير والسيطرة على عقل المتلقين من خلال طرق عدة كالتجهيل والتمويه والترغيب والترهيب لتقبل وجهات نظر وآراء تخدم جهة معينة لبسط الهيمنة والفوز[7].

وقد يكون مظهر المغالطة صحيحًا، فهي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة[8]. لكنها تنطوي على خطأ ما؛ فإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود فهي (غلط) من الغلط، ومتى ظهر الغلط في المقدمات، رُفِضت الحجة ورُدَّت على صاحبها، مع إبانة وجه غلطه فيها. وإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود مغلف بما يوهم أنه حق أو غير مغلف بشيء، من أجل التمويه والتضليل، فهي (مغالطة) من المغالطات، والغرض منها إبطال الحقائق، ويصطنعها أهل الباطل، وهي محرمة في الإسلام[9].

فهي نوع من التهافت الحجاجي؛ فإن كان هذا التهافت مبنيًّا على ضعف الملكة النقدية فهو غلط، وإن كان مبنيًّا على نية التضليل فهو المغالطة[10]. ويمكن القول إن المغالطة حجة خاطئة، سواء أكانت بحسن نية أحيانا أم بسوء نية غالبا، وهي تصدق على كل حوار يخرج به المتكلم عمَّا أُعدّ له الحوار فينحرف عن المقصود لأغراض متعددة بحسب السياقات.

الحجاج لغة واصطلاحا:

في اللغة: "الحجة: السنة والجمع حجج، والمحجة: الطريق، وقيل: محجة الطريق: سننه، والحجة ما دوفع به الخصم، والجمع: حجج وحجاج، وحاجه محاجة وحجاجا: نازعه الحجة، وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته"[11].

واحتج بالشيء اتخذه حجة، يقال: حجَّه يحجُّه حجًّا: قَصَدهُ، والحَج: القصد، الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وجمعها حُجَج، وإنما سميت حُجة؛ لأنها تُحَجُّ، أي تُقصد؛ لأن القصد لها وإليها. وكذلك مَحَجَّة الطريق هي المقصِد والمسلك[12]. والحُجَّة البرهان، وقيل: ما دُوفع به الخصم، ومن أمثال العرب: لَجَّ فَحَجَّ، أي: لجَّ فغلب من لاجَّه بحُجَجِه، والتَّحاجُّ: التخاصم، وجمعُ الحُجَّة: حُجَجٌ وحِجَاجٌ، ويقال: حاجَّهُ مُحاجَّةً وحِجَاجًا: نازعهُ الحُجَّةَ[13].

ويعرف الحجاج في الاصطلاح بأنه دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم والإذعان بما يُعرَضُ عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة التسليم[14].

لقد لقِي الحجاج اهتمامًا منقطع النظير سواء باعتباره مبحثًا لسانيًا بحتًا أو باعتباره منطقيًا أو بلاغيًا وتداوليًّا، وكان وراء هذا الاهتمام إعادة بعث قضايا البرهان والجدل والمحاجة في المنطق الحديث والبلاغة الحديثة. ويُعدُّ الحجاج من أهم مقاربات الدراسات اللسانية الحديثة؛ لأننا – غالبًا - نتكلم من أجْل أنْ نُحاجِج، فما من قول إلا وله فعلٌ توجيهيّ حِجاجيّ نحو قولٍ ما أو نتيجة ما، وتستند الدراسات الحجاجية إلى فكرة أن اللغة وسيلةُ تواصلٍ غايتُها الإقناع والتأثير.

ولا يُنكَر أن الوظيفة الأساسية للغة ليست الإخبارية أو الوصفية فقط بل هناك الوظيفة التأثيرية الإقناعية، فكلُّ قول يحتوي على فعل إقناعي، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية مهما اختلف قوة وضعفًا، أو إقناعًا وتأثيرًا، واللغة تحمل بصيغة ذاتية جوهرية وظيفةً حجاجية، فهو كامن في بنية اللغة عبر طريقة تسلسل المنطوقات اللغوية، وكيفية اشتغالها داخل الخطاب في علاقات سببية[15].

فالخطاب مهما كان نوعه -وليس فقط الخطاب القرآني، الذي نزل للثقلين- يقوم على وظيفة مركزية هي الوظيفة الحجاجية التي تنبجس منها جميع الوظائف الأخرى[16]. فإذا تعلق الأمر بلغة القرآن كانت ذروة البلاغة والبيان في الحجاج والبرهان.

كيف تنشأ المغالطة:

المغالطات الحجاجية تنشأ من تعمد الخروج بالحوار عن طبيعته بأي وسيلة ولأي غرض غير الغرض المعلن في الحوار؛ لأن الخطاب ليس – فقط - مجموعة الألفاظ والكلمات التي تُرتَّب أثناء الفعل اللغوي وتُقال في موقفٍ ما، بل يلزم فيه الاهتمامُ بالدلالة وبمقاصد المتكلمين، ويتعين الحفاظ على اتجاه سير الحوار والتزام قوانينه ليكون ناجحا ولا يُكتفى بكونه صوابًا بنيويًّا؛ فالخطاب تركيب تكَوَّن من خلال مجموعة قوانين وضوابط أنشأها المتكلم؛ ليُسهم بها في تحقيق العملية التواصلية[17].

وحين الخروج عن هذه الضوابط في الحوار عمدًا فإنه يحدث الاستلزام التخاطبي، ويكون الأمرُ مهيأً لإحداث المغالطات بالبعد عن الدلالات الظاهرة المطلوبة في الموقف التواصلي.

الاستلزام التخاطبي والمغالطة:

إن المتحدث - في بعض الأحيان- يَعنِي ما يقول حرفيًا، وفي البعض الآخر لا يَعني ما يقول، بل يُضمر معنى آخر في خطابه، ومن هنا ظهرت في الدراسات اللسانية فكرة الاستلزام التخاطبي، الذي يتمحور حول العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وتحديد دلالات الخطاب عن طريق التفاعل بينهما؛ لأن ثَمَّة معاني صريحة يلقيها الباثّ، لا يتكلف المخاطَب مشقة في الوصول إليها، وثمة إضمارات حوارية مكنونة في الخطابات[18].

ويرمي الاستلزام التخاطبي إلى الوقوف على هذه الإضمارات في التداول الفعلي؛ فيفسرها ويؤولها وفقًا للظروف والسياقات المحيطة بها؛ لأن في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون؛ لذا ركّزَ على بيان الاختلاف بين ما يُقال وبين ما يُقصد؛ إذ إنَّ ما يُقال هو ما تعنيه الكلمات، أو العبارات؛ من خلال قيمتها اللفظية، أَمّا ما يُقصدُ فهو ما يريدُ المتكلمُ أَن يبلغَهُ السامعَ بطريقةٍ غير مباشرةٍ، وبذلك يظهر الربط بين ما يحملهُ القول من معنى صريح وما يحمله من معنى مُتضمَّن، وبذلك نَشَأَت فكرةُ الاستلزام

مبدأ التعاون:

ظهر في اللسانيات التداولية ما يُعرَف بمبدأ التعاون في الخطاب على يد العالم بول غرايس[19]،الذي يقضي بضرورة تعاون المتكلم والمخاطب لجعل التواصل ناجحا، ومتى خرج الطرفان أو أحدهما عن مسار الفكرة المطروحة أو الحوار فإنه يحدث الاستلزام التخاطبي؛ فيتم خرق قانون التعاون، وقد فرّع عليه قواعد حوارية تسعى إلى ضبط الحوار وتقنينهِ والبحث عن مقاصد المتحاورين والسير بها في الاتجاه الذي يضمن إتمام عملية التواصل بشكل ناجح[20].

فكل حوار صحيح يجب أن يقوم على مبدأ عام يُخضعُ كلُّ المتحاورين له، أُطْلِقَ عَليهِ اسمُ مبدأ التعاون[21]، ويعرف بقولهم: "ليكن إسهامُكَ في الحوار بالقدرِ الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عَليهِ، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[22]؛ وقد يعني هذا أنه على أطراف الحوار أن يتعاونوا فيما بينهم؛ لتحصيل المطلوب، بمعنى أنَّه يجبُ أن يتعاونَ المتكلمُ والمخاطبُ على تحقيق الهدف من الحوار الذي دخلا فيه، وهذا الهدف قد يكونُ محددًا قبل دخولهما في الحوار، أو قد يحصلُ في أثناء الحوار[23].

وتحديد هذه القوانين يجب أن يفعله المساهمون في الحدث اللغوي بأقصى طريق تعاوني عقلي، وأيُّ خرق لتلك القوانين يؤدي إلى اختلاف مقاصد المتكلمين وتغيير الحوار عن الهدف المحدد[24]. واختلاف المقاصد هو أوسع مقامات حدوث المغالطات، وتوافر القصد والنية مطلب أساس، وشرط من شروط نجاح التواصل اللغوي[25].

وسوف نتناول فيما يلي مواطن متعددة من حوار موسى - عليه السلام- مع فرعون، نكشف فيها عن مغالطات فرعون وأساليبه في ذلك.

نماذج من المغالطة في قصة موسى وفرعون:

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف: 109] مغالطة في اتهام موسى بالسحر، وتقوم المغالطة هنا على التدليس بادعاء أن موسى ساحر، وإذا استطاعوا أن يُثبِتوا للعامة أن موسى ساحرٌ؛ فإن ذلك يقتضي منهم عدم اتباعه فضلا عن قبول الإيمان بما جاء به؛ بحجة أنه ساحر، بل الواجب عليهم -والحالُ ما ادعوه- أن يبغضوه بل يحاربوه؛ لأن عادة عقلاء الناس أنهم يُبغضون السحرة، ويحاربونهم لِمَا يأتي منهم مِن الشرور.

وهذه المغالطة يستخدمها العَجزة في طرفي التحدي إذا انهزموا في تحديهم، وعجزت قدراتهم عن مواصلة الصمود في القضية المطروحة، يريدون أن يقطعوا الفوز الذي حققه الطرف الآخر، ويُدخلوا في أنفس المشاهدين والجمهور المحتشدين الشك في النصر الذي حققه الطرف الآخر، وأن ما حققه من نصر عليهم ليس بسبب صدقه، ولا لأن ما جاء به حق، بل بسبب السحر؛ فيفسدون على موسى معجزته، ويضيعون عليه انتصاره، فَمَلَأُ فرعونَ هنا ادّعوا مغالطةً، وهي أن موسى ساحر، بل قالوا: (ساحر عليم) إمعانًا في تثبيت المغالطة.

ومبنى المغالطة هنا أن قوم فرعون كانوا خبراء عالمين بالسحر، ومتمرسين فيه، يعلمون أن هذا الذي جاء به موسى- عليه السلام- ليس من باب التخييل كما يفعل السحرة بل هو إعجاز حقيقي بتحويل العصا إلى حية، ثم ردّها إلى طبيعتها، لكنهم غالطوا في هذا ليخدعوا الناس أنَّ موسى سحَرَ أَعْيُنَهم بفعلِه وبقلبِه العصَى إلى حية. "فلما أتى بما يعجز عنه غيره، قالوا: إن هذا لساحر عليم"[26].

مع أننا لو سلمنا للخصم وقبلنا منه دعوى أن موسى ساحر فلماذا يرفضون دعوته وهم قوم اشتُهِر فيهم السحر والكِهانة؟ إذن فالهدف من حوارهم ليس المحاجّة للوصول إلى الحقيقة بل المصادمة والمواجهة بالباطل ولم يقم أحد طرفي الحوار بما كان يجب عليه، فلا يقول إلا ما يعلم صدقه، وبذلك خرقوا قانون الحوار ومبدأ التعاون، فكانت المغالطة بالتدليس؛ لأن مبدأ التعاون يمنع ادعاء الكذب، أو إثبات الباطل، ولذلك يُطلب من المتكلم ألَّا يوردَ من العبارات سوى تلك التي وقف على دليلٍ يثبتُ صدقها:

أ- فلا يقل ما يعلم خطأَهُ.

ب - ولا يقل ما ليس له عليه دليل.

فإن قال ما يعتقد أنه كذب أو ما لا يستطيع البرهنة على صدقه، فإن المحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبًا أو غير إقناعي، وبما لا يستطيع البرهنة عليه؛ لأنه يُضْعف حجتَه[27]، ويغالط آنئذ.

وفي قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [الأعراف: 110] مغالطة باستخدام السبب الزائف، ويصلح أن تكون هذه مِن المغالطات العاطفية لإثارة الجماهير، وهي

حجاج يقوم به المخاطب أمام الجمهور بقصد إقناعه وإثارة حماسه وانفعاله تجاه موضوع ما؛ فعندما يستجيب الجمهور إلى فكرة المخاطِب يُحقق الخطاب الحِجاجي هدفه، وبقدر ما يتحمس الناس للنتيجة يتزايد توفيق الخطاب ويتعاظم نجاحه. والمغالطة هنا مبنية على فكرة خطيرة لها وجهان:

الأول: أن موسى جاء؛ ليخرج قوم فرعون من أرضهم. وربما قصدوا أن دعوة موسى إياهم للإيمان ستؤول إلى إخراجهم من أرضهم، فنسبوا فعل الإخراج إلى موسى وأخيه، وهنا ينسب المغالط إلى خصمه قضايا يوهم بأنها من لوازم مذهبه، مع أن الخصم لا يقول بها، بل قد ينكرها.

الثاني: اختيار أخطر ما يثير حفيظة الإنسان على غيره، وهي قضية الإخراج من الأرض، وهي من أعظم الأمور التي يُحارَب بها الإنسانُ في حياته، كما أن هؤلاء الخبثاء أحسوا بأنهم في حاجة إلى إثارة العامة على موسى عليه السلام بعد أن هزموا في معركة التحدي، ولن يُثير الناسَ شيءٌ مثل أن تُثيرَهم بأخذ دورِهم وأموالِهم وبراضيهم.

مع أنهم في اتهام موسى بأنه جاء ليخرجهم من أرضهم كذابون؛ لأنه ما من نبي ولا رسول جاء إلى قومه وهو يريد أن يخرجهم أبدا، بل إن جميع الأنبياء جاؤوا لدعوة الناس إلى الإيمان بالله، وإبقائهم في دورهم وأراضيهم وأموالهم إلا أن يأبوا قبول رسالة العدل والتوحيد والبر والأخلاق، فتكون الجزية أو الحرب، وفي الحديث:

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، لَا تَغُلُّوا، وَلا تَغْدِرُوا، وَلا تَقْتُلُوا امْرَأَةً، وَلا وَلِيدًا، وَلا شَيْخًا كَبِيرًا، وَإِذَا حَاصَرْتُمْ أَهْلَ مَدِينَةٍ، أَوْ أَهْلَ حِصْنٍ، فَادْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَلَهُمْ مَا لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ، فَإِنْ أَبَوْا، فَادْعُوهُمْ إِلَى الْجِزْيَةِ، يُعْطُونَكُمْ عَنْ يَدٍ، وَهُمْ صَاغِرُونَ، فَإِنْ أَبَوْا، فَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ، وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ"[28].

بل هناك بُعد ثالث مخفيّ تحت هذين الأمرين السابقين، وهو الإيعاز إلى العامة بأن يتبنُّوا فكرة إخراج موسى عليه السلام الذي جاء ليخرجهم على زعمهم، فنلحظ أنهم رموا موسى عليه السلام بما سيقومون هم به كعادة أسلافهم من جميع الكفرة، وهو إخراج الرسل والمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: 13] فهؤلاء

اتهموا موسى بما هم فاعلوه، وواقعون فيه هم وأئمة الضلال من طوائف الكفر، لكن عادة الظالمين أنهم يُلَبِّسون على الناس، حتى يختلط الأمر على العامة فيثوروا عليهم؛ لأن الباغي مهما أوتي من بغي لا يستطيع الاستمرار في بغيه وظلمه ما لم تكن له قاعدة عريضة من العوام الذين يسهل توجيههم وقيادتهم. ففي عامة الناس كثير من الدهماء والهمج الرعاع الذين يتبعون كل ناعق ويميلون مع كل ريح، ولم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق كما قال علي -ﷺ-[29].

فقد حرص ملأ فرعون بعد هزيمتهم في التحدي مع موسى أن يخدعوا جمهور العوام بهذه المغالطة (أن موسى جاء ليخرجهم) فتدخل عليهم الشُبه، ويوقعونهم في الشَّرك بالتخطيط لإخراج موسى قبل أن يُخرجهم هو.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ [الأعراف: 123] مغالطة السلطة وهي الاعتقاد بأن هناك شخصًا يمثلُ الرجوعُ إليه مرجعيةً تثبُتُ بها الأشياء، ولكي يكون استخدام السلطة أمرًا صحيحًا كانت هناك شروط يجب تحققها، ومن أهمها[30]:

- ينبغي أن تدرك الحجة إدراكا سليما.
- ينبغي أن يكون للسلطة كفاءة حقيقية ومتأكدة في مجالها.
- ينبغي أن يتعلق رأي الخبير بمجال كفاءته المخصوصة.
- ينبغي أن تتوفر تقنية وفاق ضرورية للبت في الخلافات بين سلطات مشهود لها بنفس الكفاءة.

ومع أن السلطة التي يذكرها العلماء هنا هي سلطة المنزلة العلمية والفكرية لا سلطة التحكم والجبروت والبطش، فإنه لا يتوافر شرط واحد من هذا الشروط لكي يصح استعمال السلطة من قبل فرعون، ويقول: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ ولذا وقعت المغالطة هنا، وهي تقوم على تصور أن هناك شخصًا يملك التحكم في قلوب الناس، وأن الإيمان يحتاج إلى إذن من هذا الشخص وهو فرعون، وبما أنهم لم يأخذوا الإذن منه لأجل هذا الإيمان فليس لهم أن يؤمنوا، وهذه من الأمور العجيبة جدا؛ لأن مسألة الإيمان مسألة قلبية، والإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم تستطع جبابرة الأرض أن ينزعوه، كما أن القلوب لا يتحكم فيها أحدٌ، بل إن الشخص نفسه لا يقدر على التحكم في قلبه هذا التحكم الصارم، فكيف بشخص آخر يريد أن يجبر الناس على ما في مكنونات قلوبهم، فهذا أمر مستحيل.

قد يستطيع جبابرة الأرض إجبار الناس على الإذعان لهم بالقول أو بالفعل كرها وبغيا، أمَّا أنْ يُجبروهم على تغيير ما في قلوبهم فهذا ليس لهم أبدا، وهنا تتضح مغالطة فرعون من جهة أن الإيمان دخل قلوب السحرة رغما عنهم إذعانا وتصديقا لما رأوا من الحقائق التي بهرتهم عند تحديهم لموسى عليه السلام، فلم يملكوا أنفسهم إلا أن قالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ [الشعراء: 47] وقد تبدَّت قوة هذا الإيمان للناظرين، ذلك الإيمان الذي خطف القلوب ورسخ فيها، وذلك حين هددهم فرعون بالتنكيل والعذاب، فقال: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٩﴾ [الشعراء: 49] فما كان من رد هؤلاء إلا أن قالوا: ﴿قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ٥٠﴾ [الشعراء: 50] فهل يعقل أن هذا إيمانٌ تتحكم فيه النفوس.

وفي المغالطة بقوله: (آمنتم له قبل أن آذن لكم) يحكي كتاب الله هول المفاجأة الكبرى التي فوجئ بها فرعون وملؤه عندما سجد السحرة لله أمام معجزة موسى وآمنوا برسالته فأنكر عليهم فرعون أن يؤمنوا بموسى دون إذن منه، وكأن الإيمان عملية مادية يستطيع الضمير لها دفعا، وكأن مفاتيح القلوب في أيدي الطغاة والجبابرة يفتحونها متى شاءوا ويقفلونها متى شاءوا[31].

فكان قول فرعون هذا دليلا على ما أصاب عقله من خلط وخبط، لهول المفاجأة التي فوجئ بها هو وقومه، حتى اتهم فرعون نفس السحرة الذين كانوا قبل لحظات محل ثقته وطوع يديه، بأنهم أصبحوا تلامذة لموسى، بمجرد ما أعلنوا إيمانهم بالله، وبراءتهم من فرعون ودينه.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ١٢٣﴾ [الأعراف: 132] مغالطة؛ لأن هذا الرد منهم غير مناسب للسياق. والحوار الذي يحدث فيه التعاون ليكون ناجحا يجب أن يكون الكلام فيه مناسبًا للموضوع، ومناسبًا للسياق التداولي[32]. وهذه الملاءمة التي يجب توفرها تقتضي منْعَ المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصدَ أُخرى مخالفةٍ لتلك التي استهدفها الخطاب؛ وذلك من خلال مراعاة علاقةِ المقالِ بالمقام، فهي تقتضي أَن يكون الإسهامُ في الحوار المتبادَلِ واردًا، ومناسبًا، وملائمًا[33].

وقد ظهر عدم الملاءمة هنا في تحول مواقف هؤلاء المنحرفين (فرعون وقومه)؛ ففجأة يكتشف فرعون أن هؤلاء السحرة متآمرون مع موسى، وهذا لا يتلاءم مع الموقف، لكنْ قادَه إليها هول الصدمة التي وقعت عليه من إيمان السحرة كلهم في وقت واحدٍ، بلا تردد. وهي مغالطة لما يأتي:

- أن فرعون هو من اختار هؤلاء السحرة، وهو مَن رتَّب معهم لقاء موسى.
- أن هؤلاء سحرة متمرسون في السحر، وقد جاءوا فرعون راغبين طامعين في نيل رضاه.
- أنه لم يكن ثَمَّة علاقة لموسى بهم، ومن أمارات ذلك أنه بدا عليه الخوف الطبيعي في أول الأمر لما ألقوا حبالهم وعصيهم وتخيل أنها حيّات، لولا أن أذهب الله عنه الخوف وطمأنه بقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: 68].
- أن هؤلاء السحرة لو كان إيمانهم مزيفًا وأنهم أصحاب مصالح ما ثبتوا على إيمانهم أمام تجبر فرعون وتوعده إياهم والتنكيل بهم. والمتأمل مفردات التعذيب وأدواته التي استخدمها فرعون في قوله يدرك خطورة الموقف: ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 7] فالأمر فيه صلب، وتقطيع أيد، وأرجل. والنفس البشرية تضعف عند لمعان بريق السيف فوق أعناقها.
- أن منْ دبَّر أمرًا بليل هو فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ﴾ [طه: 62] قال بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرًا فإنا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر. وقال آخرون، قالوا: ما هذا القول بقول ساحر[34]. إذن فقول فرعون: ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71] مغالطة، فقد ذكر المفسرون في الطريقة المثلى أقوالًا[35]:
- أن المراد بالطريقة السُنَّة والدين والملك الذي هم فيه والحياة التي يحيونها.
- أن المراد بها الأمثل منهم من الرجال الأشراف وأُولي العقل.

- أن التقدير: بأهل طريقتكم المثلى، على أن في الكلام حذفا.
- أن المراد: يصرفان وجوه الناس إليهما.

وقال ابن كثير: "وَيَسْتَبِدَّا بهذه الطريقة، وهي السحر، فإنهم كانوا معظمين بسببها، لهم أموال وأرزاق عليها، يقولون: إذا غلب هذان أهلكاكم وأخرجاكم من الأرض، وَتَفَرَّدَا بذلك، وتمحضت لهما الرِّيَاسَةُ بها دونكم"[36]. فهم قالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء به باطل وفساد: أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بالدعوة إلى الله، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون[37].

ففي الآية مغالطة مبنية على أن المتمكن في الأرض وذي السلطان هو صاحب الطريقة المثلى، وهذا مذهب باطل عند كل العقلاء، فكم مِن متمكن في الأرض ذي سلطان، وهو فاسد لا يزن عند الله جناح بعوضة، وكم من مؤمن ولي تقي ورع، وهو مطحون تحت رحى الحياة، ومضطهد في جنب مِن جَنَباتِ الأرض، وليس الإعطاءُ دليلَ تكريمٍ وسيادة وحسنَ طريقة، كما أن المنع ليس دليلَ إهانة واستصغار، بل الله - عز وجل - يعطي ويمنع ويغني ويفقر ليبتلي عباده، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: 2].

فالزعم أنهم أصحاب الطريقة المثلى زَعمٌ فارغٌ لا حقيقة له إلا من أراد قلب الحقائق، وصيّر قوانين الكون على هواه ومشيئته. أو تكون المغالطة مبنية على أن الطريقة المثلى هي الطريقة التي يحصِّل الإنسان بها السؤدد والرِّياسة على الناس ويتحكم فيهم ولو كانت السحر أو الاستعباد.

وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 127] مغالطة ظاهرة، بتلبيس الأمور وقلب الحقائق؛ لأنه في اتهام موسى والمؤمنين بالإفساد في الأرض مغالطة مفضوحة لسبب يسير، وهو أن المفسد في عرف جميع العقلاء هو من يظلم ويستعبد الناس، ويتجبر عليهم ويقتلهم ويسومهم سوء العذاب، وأن الصالح هو من يدعو إلى عبادة الخالق وحده، ويدعو إلى البر والهدى والتراحم.

وواقع الحياة يُثبِت أن كلام الملأ من قوم فرعون مغالطة، وأنهم أرادوا بذلك إثارة حفيظة فرعون على موسى ومن معه بهذا الخطاب التحريضي الذي يدل على قمة الحقد على المؤمنين وعمق الغباء والاستمتاع بحياة الضلال، وقد ذكر المفسرون في الآية أقوالًا، منها: أي: أتذر موسى وأتباعه

يفسدوا عليك عبيدك، ويقعوا الفرقة ويشتتوا الشمل، ويتركوا عبادتك، وعبادة الأصنام التي تأمرهم بعبادتها[38]. وقال ابن كثير: "أتدعهم ليفسدوا في الأرض؟ أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك، يا لله للعجب! صار هؤلاء يشفقون من إفساد موسى وقومه!"[39].

والمتأمل في هذا الكلام الذي حكاه القرآن عن الملأ من قوم فرعون، يراه يطفح بأشد ألوان التآمر والتحريض، فهم يخوفونه فقدان الهيبة والسلطان بتحطيم الأوهام التي يستخدمها السلطان، لذا نراه يرد عليهم بمنطق الطغاة المستكبرين: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: 127] أي: لا تخافوا ولا ترتاعوا أيها الملأ فإن قوم موسى أهون من ذلك، وسنزل بهم ما كنا نفعله معهم من قبل، وهو تقتيل الأبناء، وترك النساء أحياء، وإنا فوقهم غالبون. وما قاله الملأ من قوم فرعون هو منطق حاشية السوء في كل عهود الطغيان، فهم يرون أن الدعوة إلى وحدانية الله إفساد في الأرض، وأن تحرير الناس من ظلم الطغاة وجبروتهم فساد في الأرض[40].

وقد أرادوا بهذه المغالطة تحريض فرعون؛ لأنهم لما رأوا قلة اكتراث المؤمنين بوعيد فرعون، ورأوا نهوض حجتهم على فرعون وإفحامَه، وأنه لم يَحرْ جَوَابا، راموا إيقاظ ذهنه، وإسعارَ حميته، فجاءوا بهذا الكلام المثير لإغضاب فرعون، ولعلهم رأوا منه تأثراً بمعجزة موسى وموعظة الذين آمنوا من قومه وتوقعوا عدوله عن تحقيق وعيده[41].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: 38] مغالطة مكشوفة، وفيها حمل المتلقين على الإقرار بقوله، وهذه المغالطة يُظهرها سياق الكلام الصادر عن فرعون نفسه، ويُثبتُ هذه المغالطة أيضًا ما استقر في أنفس بني آدم وما فطروا عليه من الإقرار لله تعالى بالربوبية؛ فبتأمُّلِ الآية التي ورد فيها موطن المغالطة نجدها تتكون من فقرات:

الفقرة الأولى: ما علمت لكم من إله غيري.	الفقرة الثانية: فأوقد لي يا هامان على الطين.
الفقرة الثالثة: فاجعل لي صرحا.	الفقرة الرابعة: لعلي أطلع إلى إله موسى.

هذه جميعا عبارات قالها فرعون، لو وضعناها في ميزان التحليل الظاهري بعيدًا عن البحث في الضمنيات التي تحويها لتَبيَّن أن الفكرة الرئيسة، وهي ادعاء الألوهية بـ(ما علمت لكم من إله

غيري) لا تنسجم مع الفقرات المتتالية؛ إذ كيف يكون هو الإله الأوحد الذي لا يَعلَم غيرَ نفسه إلهًا، وهو في الوقت نفسِه يَعجَزُ عن أن يوقِد على الطين، ويَطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحا، ويحتاج إلى دعمه، ثم إنه لعله يطلع إلى إله موسى.

فجميع هذا الفقرات تدل على أن قول فرعون: {ما علمتُ لكم من إله غيري} مغالطة محضة منه، يستغل فيها خنوع قومه واستسلامهم تحت قهره، واستخفافه بهم. قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف: 54] وقد أحسن الرازي بقوله: "اعلم أن فرعون كانت عادته، متى ظهرت حجة موسى، أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه"[42].

كما أن الإقرار بالله ووجوده قد فُطِرت قُلوبُ بني آدم على قُبولِه، والاعتراف به، فلم يُنكرْه منهم إلَّا شُذَاذ قَليلون بل إن فِرْعَون القائل:﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: 24] والقائل: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص: 38] مُعتَرِف بوجود الخالق الموجِد لهذا العالم. فهو -مع غلوه في كفره، ودعواه أقبح دعوى، ونطقه بالكلمة الشنعاء التي ذكرها الله عنه من ادعاء الربوبية والألوهية- يقول الله في حقه حاكيا عن موسى- عليه الصلاة والسلام-: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: 102] مع أنه إمام في الكفر، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [القصص: 41].

وفي قول موسى: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ﴾ دلالة على يقينِ علمِ فرعونَ بهذه الحقيقة، وأنه يعتقد في قرارة نفسه أن الله رب السموات والأرض، وأنه ليس عنده شك، بل هو عالم ومتيقن، لكنه جحد الحق، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: 14] أي: جحدوا بها وقلوبهم متيقنة[43].

وقد حدثت المغالطة هنا في خرق قوانين الخطاب التي تكفل له النجاح في التواصل بتلفظ المتكلم بكلام هو يعلم فيه أنه كاذب، وهو من جهة أخرى لا يستطيع البرهنة عليه. لكن قول فرعون:

﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38] يريد به أن يصادر أي قول آخر، فإذا كان هو الإله فليس لأحد أن يقول شيئا.

"وهذا الأسلوب يصادر أول ما يصادر حق الاعتراض، الذي هو حقٌّ مؤسّس لمشروعية الخطاب، بل هو يصادر الحق في الاختلاف، ويصادر حق الاستقلال في النظر. إنه بكل بساطة يُعدِم الآخر إعدامًا نهائيًا، ولا يرضى إلا بالوحدانية التي هي ليست من صفات البشر على الإطلاق"[44].

وفي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر: 25] مغالطة؛ لأنه انتقال من مناقشة الحجة والاعتبار بالآيات البينات إلى الإرهاب بالقول والفعل، فجاء الحديث عن القتل والاستحياء، وفي هذا الجزء من الخطاب الإرهابي لا تتجه غاية المتكلم نحو الإقناع أو الاقتناع، إنما تتجه نحو الإسكات، والإسكات هنا لا يُقصد به إفحام الخصم بانقطاع الحجة بعدم وجودها أو عدم إسعاف اللغة بالنطق بها، ولكنه إسكات التذعين الذي تدخل فيه مصادرة السلطة أو سلطة النص كيف هذا؟ وهو ما يُطلق عليه الاحتجاج بالسلطة[45].

وهو خروج بالسياق عن موضعه الطبيعي، وإلا فالأصل أن يتحاوروا ويُدلي كل فريق بحجته حتى ينقطع طرفٌ من الأطراف؛ فيُسلم له الآخر، لكنهم هنا اتهموه بالسحر، وبدأوا باستخدام إرهاب القوة والسلطة واستخدام السيف لإرهاب موسى ومن معه، أو لإرهاب مَن تُسوِّل له نفسه أن يؤمن بدعوة موسى -عليه السلام-، وهنا كانت المغالطة.

وبدا جليًا أن المقصود بهذه المغالطة هم العوام وجمهور الناس الحاضرون للمشهد، أو الذين سيصل إليهم خبر فوز موسى في تحديه لفرعون، ومِن ثَمَّ قد يقع ما يحذر منه فرعون، ويؤمن الناس، فقرر فرعون أمرًا غريبًا، بدلا من أن يقرر -مثلا- قتل عدوه الأول وهو موسى - عليه السلام، فقد كان من الطبيعي في هذا الموقف أن يفعل فرعون إحدى اثنتين:

الأولى: أن يقتل عدوه الذي تحداه وأظهر ضعفه وأنه ليس بإله ولا رب، وهو موسى عليه السلام.

الثانية: أن يقتل الذين اتبعوا موسى وآمنوا به، ليتخلص منهم، وليُرْهِب مَن لم يؤمن.

لكنه عدل في هذا السياق القرآني عن الحديث عن ذلك، وقرر أمرين آخرين أشد خبثًا وخطرًا على المدعوين:

أحدهما: هو قتل أبناء المؤمنين وليس المؤمنين أنفسهم. قال الرازي: "أمر بقتل أبناء الذين آمنوا معه، لئلا ينشؤوا على دين موسى، فيقوى بهم، وهذه العلة مختصة بالبنين دون البنات. فلهذا السبب أمر بقتل الأبناء"[46]. "ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام"[47].

الأمر الثاني: هو استحياء نساء المؤمنين، أي: اتركوا الإناث دون قتل؛ لخدمتكم، وليكون ذلك أبلغ في إذلالهم؛ إذ بقاء النساء بدون رجال فتنة كبيرة، وذل عظيم[48].

وليس من شك أن الرجل العاقل -بل المؤمن- لا يتردد أن يضحي بنفسه وحياته في سبيل إيمانه ودينه وعقيدته، لكنه قد يضعف حين يرى فلذات أكباده أمام عينيه يسومهم فرعونُ سوء العذاب، فلا أشد على المرء من أن يرى أبناءَه يُعذَّبون أمام عينيه، وهو لا يستطيع أن يدفع عنهم الضر.

وتأتي قضية استحياء النساء التي لا يتحملها أحد، فما كان من فرعون وحاشيته إلا أن أرادوا بقولهم هذا إحداث الهزيمة النفسية في نفوس المؤمنين من ناحية، وتحقيق الإرهاب في نفوس العامة الذين قد يفكرون في الإيمان بموسى بعد رؤيتهم هزيمة السحرة، وصدق موسى بالأدلة والبراهين من ناحية أخرى، فكانت هذه المغالطة لمنع كل ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127] مغالطة مبنية على الكبر والعنجهية، وهي من مغالطات الاحتجاج بالسلطة كالمثال السابق، فسلطانه وغروره جعله يتجاهل الحقائق والسنن الكونية أن الحياة دُوَل، وأنه لا أمر يدوم في الحياة على حال، حيث ظن فرعون أنه يملك كل شيء وأنه لا رادع له، ولا رادّ لما يأمر به حتى أعماه غروره، وادعى الربوبية والعلو في قوله: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: 24] وهو أكثر من يعلم أنه كاذب في ذلك؛ لأن الرب الحق لا يحتاج لغيره، بل الكل محتاج له.

والمتأمل لحظة ضعف فرعون، وقت إغراقه في اليم وجريان الماء من فوقه بعدما كان يفتخر أنه يجري من تحته يدرك تمام الإدراك أن قوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127] مغالطة؛ إذ صار هو المقهور المدحور بكفره وعناده. ولست أنكر أن فرعون كان قاهرًا لبني إسرائيل، مستعبدًا إياهم، لكن الإنكار في أن يظن أن هذا سوف يدوم، وهنا موطن المغالطة.

ولو رجعنا قليلًا قبل لحظةِ إهلاك فرعون متأملين حال بني إسرائيل حين قال فرعون: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف: 127] لوجدنا أن موسى يُقرّر عكس المغالطة التي ادعاها فرعون، فقال لهم: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨﴾ [الأعراف: 128]. وليست العاقبة للمتجبرين والطغاة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: 131] مغالطة الشعور بالعظمة وحب الذات، أي: فإذا جاءهم ما يستحسنونه من الخصب والسعة والرخاء، قالوا بغرور وصلف: ما جاء هذا الخير إلا مِن أجلنا لأننا أهلٌ له، ونحن مستحقوه وبكدِّنا واجتهادنا وامتيازنا على غيرنا، ناسين فضل الله عليهم، ولطفه بهم، غافلين عن شكره على نعمائه.

وإن اتفق أن أصابتهم سيئة، أي: حالة تسؤهم كجدب أو قحط أو مصيبة في الأبدان أو الأرزاق، تشاءموا بموسى ومن معه من أتباعه، وقالوا: ما أصابنا ما أصابنا إلا بشؤمهم ونحسهم، ولو لم يكونوا معنا لما أصابنا[49]. ففي الآية مغالطة مركبة على النحو الآتي:

أولًا: ادعاؤهم أنهم أهل لأن يوسَّع عليهم، ويخصبوا، وأنهم إنما نالوا ما هم فيه من نعماء باجتهادهم. وتلك مغالطة كبرى أن يعتقد بعض البشر أنهم أحق بكل نعيم وعافية.

ثانيًا: مغالطة مترتبة على السابقة، وذلك أنهم لا ينسبون الفضل لله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، بل لأنفسهم.

ثالثًا: مغالطتهم بأن العادة تقتضي أن يستمر لهم العطاء والنعيم، ففي قولهم: ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ أي: نحن أهلها ومستحقوها على العادة التي جرت لنا في سعة أرزاقنا.[50]

رابعًا: ادعاؤهم أن ما يصيبهم من بلاء أو شر فإنما هو من وجود موسى ومن آمنوا معه، حتى صاروا يتطيرون بهم، لكن الله تبارك وتعالى أبطل هذه المغالطة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ [الأعراف: 131] أي: إنما سبب شؤمهم هو أعمالهم السيئة

المكتوبة لهم عند الله، فهي التي ساقت إليهم ما يسوؤهم وليس لموسى ولا لمن معه أي تدخل في ذلك. ولكن أكثرهم يجهلون هذه الحقيقة، فيقولون ما يقولون مما تمليه عليهم أهواؤهم وجهالاتهم[51].

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ١٣٢﴾ [الأعراف: 132] مغالطة بالكذب، وهي هنا ادعاؤهم أن الآيات القرآنية تسحرهم؛ والذي يجعل هذا القول مغالطة أن الآيات لو كانت سحرًا لما قدروا على مخالفتها، وما تكلف موسى معركة الدعوة إلى الله، والصبر عليها، والهجرة من البلاد، ولو كان الأمر سحرًا لأجبرهم بسحره على طاعته والانقياد له، ألا ترى كيف حال المسحور، وهو مسلوب الإرادة يفعل كل ما يمليه عليه الجن الموكل به؟ ولما نكّلُوا بموسى ومن معه، وبذلك تضح المغالطة.

والتأكيد الذي ذكروه في أول الآية (لتسحرنا) يضادّ النفي الذي في ذيل الآية (فما نحن لك بمؤمنين)؛ إذ لو كان ساحرًا لحملهم بسحره على الإيمان به. إنك يا موسى، إن تجئنا بكل نوع من أنواع الآيات التي تستدل بها على حقية دعوتك؛ لأجل أن تسحرنا بها، أي: تصرفنا بها عما نحن فيه، فما نحن لك بمصدقين، ولا لرسالتك بمتبعين.

ومنطقهم هذا يدل على منتهى العناد والجحود، فهم قد صاروا في حالة نفسية لا يجدي معها دليل ولا ينفع فيها إقناع، لأنهم قد أعلنوا الإصرار على التكذيب حتى لو أتاهم نبيهم بألف دليل ودليل، وهكذا شأن الجبارين الذين قست قلوبهم، ومسخت نفوسهم وأظلمت مشاعرهم، حين يدمغهم الحق، ويطاردهم الدليل الساطع بنوره الواضح، تأخذهم العزة بالإثم فيأبون أي لون من ألوان التفكير والتدبر[52].

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾]غافر: 29] مغالطة.

وتجدر الإشارة هنا في خصوصية هذا السياق إلى أن خطاب فرعون هذا هو خطاب توجيهي إجباري وليس خطابًا حجاجيًّا حواريًّا؛ فلا يريد فرعون أن يناقشه أحد أو يرد عليه فيما يراه أو يقوله، حتى لو كان الرد بالحجة والبرهان، فهو يريد أن يكون الحوار بين متكلم وصامت، وأن يكون خطابًا إلزاميًا وليس حجاجيًا.

وتكمن المغالطة هنا في قول فرعون: ﴿ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩ ﴾]غافر: 29] أي: مَا أَدْعُوكُمْ إِلَّا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى[53]؛ لأنه إنْ كان قد أوتي من السلطان والملك والجبروت والقوة ما يجعله لا يرى في البشر إلا نفسه فإنه لا ينبغي أن يزعم أن سبيله هو سبيل الرشاد والهداية؛ لأن سُبل الرشاد والهداية عند كل عقلاء الأرض عليها أمارات ولها دلائل وتشهد لها وقائع الحياة؛ فلا يأتينَّ إنسانٌ لا يكاد يَستفيق مِن شُرب الخمر، ومقارفة الفواحش، وعبادة الشيطان ثم يقول: إن سبيلي هو سبيل الرشاد، وإلا بطلت في الناس الحكمة والعقول.

والواقع يُثبت أن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعًا، وقتَّل بني إسرائيل، واستعبدهم، واستحيا نساءهم، وسامهم سوء العذاب كما حكى هو عن نفسه، فكيف يزعم أنه يهدي إلى طريق الرشاد؟ وأي رشادٍ في الوثنية، وعبادة غير الخالق المتصرف بالكون، والمنعم المتفضل بالأرزاق والمتحكم في المصائر والآجال؟ لكنه السفه العقلي والغرور والطغيان يعميان القلب قبل البصر حتى يرى المفسد أنه أصلح الأنقياء. فقد جعل فرعون الرشاد فِي تَكْذِيبِ مُوسَى، وَالْإِيمَانِ بنفسه هو[54].

ويذكر الزمخشري في معنى قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾ [غافر: 29] أي: ما أُعلِمُكم إلا ما أعلم من الصواب، ولا أدّخر منه شيئا، ولا أسرّ عنكم خلاف ما أظهر، يعنى أنّ لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول، وقد كذب، فقد كان مستشعرًا للخوف الشديد من جهة موسى، ولكنه كان يتجلَّد، ولولا استشعارُه ذلك لم يستشر أحدا ولم يقف الأمر على الإشارة[55].

وعليه فهنا مغالطة أخرى، وهي أنه يُظهِر خلاف ما يبطن فيخفي خوفه من الناس كعادة كل جبار جبان لا يستطيع أن يواجه الناس وحدَه، بل لا بد أن يحشد الناس بأيّ خُدْعة حتى يقود الناسُ الأمرَ أمامه، وبين يديه.

وفي قوله تعالى:﴿قَالَ أَجِئۡتَنَا لِتُخۡرِجَنَا مِنۡ أَرۡضِنَا بِسِحۡرِكَ يَٰمُوسَىٰ ٥٧ فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ٥٨ ﴾ [طه: 57 - 58] مغالطة، ملخصها هو الهروب بطرح فكرة مختلفة للتضليل، وشكل المغالطة ما يأتي: [أَجِئْتَنَا بِسِحْرِكَ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْر].

في هذا السياق القرآني ادَّعوا أن معركتهم هي معركة تحدٍ في السحر، وهم سيحاربون السحر، وبيانها أنهم زعموا مجيء موسى بالسحر، ثم بنوا على هذا الادعاء ما سيقومون به تجاهه مِن

أنهم سيناهضونه بالسحر المشابه له، وهذه مغالطة يفعلها الخصم بقصد التضليل، حيث ينسُب للطرف الآخر ما ليس فيه، وما لم يقله أو ما ليس بحقيقه، ثم يبدأ يؤسس على هذا الادعاء ويناقشه فيه، أو يحاربه عليه، وليس الأمر كما ادعوا في هذه القضية الموهومة.

وقد سبق بيان أنه إذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود فهي غلط (من الأغلوطة)، وإذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ مقصود مغلف بما يوهم بأنه حق من أجل التمويه والتضليل فهي مغالطة (من المغالطات)[56].

وتحت ظلال هذه المغالطة يظهر المقصود وهو توجيه الناس إلى قضية مختلفة بعد التلبيس عليهم؛ لأنهم لما ادّعوا أن موسى ساحر أو ما جاء به سحر، وأن الملك أمر جنوده بالبحث عن سحرة؛ ليحاربوا هذا الساحر الأكبر في زعمهم فقد تغيرت أسس المعركة، وخلفيات إدارتها، وتشاغل الناس بالبحث عن سحرة يردُّون كيد هذا الساحر، وكأنَّ الأحاديث كانت تُدار بين الناس بهذا الشكل:

تُرى مَن الذي سينتصر: سحرة فرعون أم سحر موسى؟

وماذا سيحدث للفريق المنتصر؟

هل سينعم بالقرب والحظوة لدى فرعون؟ أكيد أنهم سينالون الحظوة عنده كما وعدهم.

وماذا عن المهزومين، وما مصيرهم؟

وفوق كل ذلك وبعدَه، فإن فرعون يتوعد ويهدد؛ فالمقصد هنا هو تغيير مسار الدعوى، مع تلبيس الحق بالباطل؛ فليس ما جاء به موسى سحرا، وليست القضية المطروحة للمناقشة هي السحر بل الإيمان بالله ومحاربة الشرك والعبودية لغيره.

وفي حوار فرعون مع موسى في سورة الشعراء مجموعة من المغالطات، وسوف نبينها فيما يأتي:

قال تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: 16-22] ذكر ابن كثير في تفسير الآية أن موسى وهارون

عليهما السلام أتيا فرعون فقالا له: إنَّا رسول رب العالمين، وبلغاه ما أرسلا به من دعوته إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأن يفك أسارى بني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته، ويتركهم يعبدون ربهم حيث شاءوا، ويتفرغون لتوحيده، ودعائه، والتضرع إليه، فتكبر فرعون في نفسه وعتا وطغى، ونظر إلى موسى بعين الازدراء والنقص قائلا له: (ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين؟) أي أما أنت الذي ربيناه في منزلنا؟ وأحسنا إليه وأنعمنا عليه مدة من الدهر؟... (وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين) أي: وقتلت الرجل القبطي، وفررت منا وجحدت نعمتنا[57].

نجد في الآيات إقرارًا من الله تعالى برسالة موسى -عليه السلام-، وأنه مرسل من قِبَل رب العالمين، وفيها طلب من موسى لفرعون أن يتركه يدعو بني إسرائيل إلى التوحيد، وألا يقف في سبيل إيمانهم، ولا يؤذيهم ويستعبدهم.

وقد جاءت حجج موسى -عليه السلام- على النحو الآتي:

الأولى: أنه وأخاه رسولان، أي: لديهما رسالة مكلفان بها {إِنَّا رَسُولُ}، وسيبرهنان على ذلك بما لا يختلف عليه عاقلان، وأن هذا رسول مؤيد من قبل السماء.

الثانية: أن هذه الرسالة ليست من لدن موسى ولا هارون بل هي من الله {رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

الثالثة: أن موسى حين حاجج فرعون أعلمه بأن مصدر الرسالة رب العالمين، فذكر الربوبية التي يؤمن بها الإنسان عمومًا وفرعون خصوصًا، وإن أظهر جحدها، فليس كل ما يجحده المرء يكون أمرًا مجهولًا لديه، ففي الناسِ كثيرون يعرفون وينكرون.

الرابعة: هي أن يتركه يدعو بني إسرائيل إلى التوحيد وعبادة الله الخالق {أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ} وألا يؤذيهم ويستعبدهم ويذلهم.

هكذا جاءت حجج موسى -عليه السلام- واضحةً صادقةً مبرهَنًا عليها، وكان الأمر يقتضي أن يناقش فرعون هذه الحجج، بأن يسأل ما هذه الرسالة، وما تعاليمها، ثم يقبل أو يرفض، ويوافق على إرسال بني إسرائيل أو يعترض أو يجادل بالحجة، لكنه غالط وترك كل ذلك، وبدأ بأمرين خبيثين:

الأول: شخصنة الأمور. **والثاني**: التذكير بزلات الماضي.

لم يستطع فرعون أن يواجه سطوع حجة موسى وقوة برهانه من أنه رسول ومرسل من لدن الرب الخالق المدبر القادر على كل شيء، وهذه حجة لم يُعرف أحد من البشر أنكرها إلا كبرا وعنادا،

فلما لم يجِر جوابا، اتجه إلى شخصنة النقاش، وأخذ يُعيِّر موسى بأن له الفضل عليه، ويظهر منته على موسى في ماضيه؛ فهو الذي رباه وأسكنه في قصره وتفضل عليه بمأكله ومشربه وملبسه ورعايته، وهذا كله مغالطة في الحوار؛ لأنها تخرج عن دائرة النقاش والقضية الرئيسة.

والأمر الثاني أنه لم يقف فرعون في مغالطته عند شخصنة الموقف بل زاد في ذلك بمحاولة ذكر عورات الماضي، وفتح ملفات مَشينة في وجه موسى -عليه السلام-؛ فيذكِّره بسابقةٍ له، حين قتل قبطيًا وقد أراد فرعون بذلك أن يُضعِف ثقة موسى بنفسه، وثقة المستمعين من الجمهور المشاهد له. واستخدام هذا الأسلوب مشتهر حين يريد الطاغية مواجهة أصحاب المبادئ، فيذكرهم بأصلهم الأول من فقرٍ - مثلا – وأنه كان سببًا في غناهم أو مكانتهم التي وهبها الله إياهم، وهذه كلها مغالطات في الحجاج لتضييع الحقيقة.

وكما كانت حجج موسى التأسيسية قوية مُفْحمة كانت ردودُه أيضًا على مغالطات فرعون قوية كذلك لدرجة أنه لم يُعقِّب عليها الطاغية فرعون، وقد رد موسى على المغالطتين التي ذكرهما فرعون بحجتين لا يصمد معها فرعون للحوار:

الأولى: قال فعلتها إذًا وأنا من الضالين. أي إذا كنت تعيرني، وتكشف عن زلة وقعتُ فيها بالخطأ، فقد كنت في ذلك الوقت بغير رسالة ولا تكليف ولا هداية، وأما الآن فقد وهب لي ربي حكمًا، فدفع قدحه في نبوته بهذا القول، أي إن موهبة الحكم والنبوة كانت بعد تلك الحادثة[58].

ويجوز أن يراد أنه من الكافرين بفرعون وألوهيته أو بآلهة كانوا يعبدونها، كما في قوله: {ويذرك وآلهتك} [الأعراف: 127]. ثم إن موسى ما أنكر تربيته ولكن أنكر الكفر فلم ينسب نفسه إلا إلى الضلال وأراد به الذهاب عن الصواب، أو النسيان أو الخطأ وعدم التدبر في أدبار الأمور. ثم ذكر موهبة ربه في حقه حين فر من فرعون ومَلَئِهِ المؤتمرين بقتله[59]. وكأنَّ الفساد والشر كان بسبب هذه البيئة غير الصالحة التي كان يعيشها المصريون بقيادة فرعون من الظلم والقهر والاستعباد والشرك والوثنية، لكن لما تركتكم يا فرعون وتركت بيئتك الظالمة وهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين.

وقد يكون في قول فرعون: {وأنت من الكافرين} مغالطة أخرى حيث نسب فرعون إلى موسى القتل إذ كان مرسلا، فافْتَرى فِرْعَوْنُ بِنِسْبَةِ هَذِهِ الحالِ إلَيْهِ إذْ ذاكَ، والأنْبِياءُ -عَلَيْهِمُ السَّلامُ- مَعْصُومُونَ. ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ إخْبارًا مُسْتَأْنَفًا مِن فِرْعَوْنَ، حَكَمَ عَلَيْهِ بِأنَّهُ مِنَ الكافِرِينَ بِالنِّعْمَةِ الَّتِي له على موسى مِنَ التربية والإحسان[60].

الثانية: قوله: {وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ} حيث دحض موسى حجة فرعون بكلامه هذا. قال ابن جرير: "وتربيتك إياي، وتركك استعبادي، كما استعبدت بني إسرائيل نعمة منك تمنها عليّ بحقّ. وفي الكلام محذوف استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه، وهو: وتلك نعمة تمنها علي أن عبَّدت بني إسرائيل وتركتني، فلم تستعبدني"[61]. فهل هذا مجال امتنان وأنت صاحب بطش وإجرام؟!

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: 23-29] مجموعة من المغالطات على النحو الآتي:

أولًا: المغالطة بالاستفهام: {وما رب العالمين}.

ثانيًا: تهييج الجمهور على موسى وترك الرد بالحجة {قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ}.

ثالثًا: هروب المغالط من إقامة الحجة على المدعي إلى الطعن في شخصه والتطاول والسب {إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُون}.

رابعًا: العدول عن الحوار بمغالطة السيطرة والبطش وإرهاب المتحدث {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}.

أما المغالطة الأولى فهي استفهامه عن رب العالمين بقوله: {وما رب العالمين} حيث أراد فرعون أن يُظهر الجحد بمعرفة الرب الخالق، وهو كاذب في ذلك؛ لأنه يعرفه يَقينًا، وهنا وقعت المغالطة.

أشار البغوي إلى أنه يسأل عن جنس الإله وماهيته، فيقول: أيُّ شيء ربُّ العالمين الذي تزعم أنك رسولُه إليَّ؟ يستوصفه إلهه الذي أرسله إليه بـ(ما) وهو سؤال عن جنس الشيء، والله منزَّهٌ عن الجنسية، فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التي يعجز عن الإتيان بمثلها[62].

والصحيح أن سؤال فرعون ليس عن الماهية، بل هو إنكار وجحد، يقول ابن تيمية: "وظن بعض الناس أن سؤال فرعون (وما رب العالمين) هو سؤال عن ماهية الرب كالذي يسأل عن حدود الأشياء، فيقول: ما الإنسان؟ ما المَلَكُ؟ ما الجنيّ؟ ونحو ذلك، قالوا: ولمَّا لم يكن للمسئول عنه ماهيَّةٌ

عدل موسى عن الجواب إلى بيان ما يعرف به وهو قوله: (رب السماوات والأرض) وهذا قول قاله بعض المتأخرين، وهو باطلٌ. فإن فرعون إنما استفهم استفهام إنكار وجحد لم يسأل عن ماهية رب أقر بثبوته بل كان منكرًا له جاحدًا، ولهذا قال في تمام الكلام: (لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين) وقال: (وإني لأظنه كاذبا) فاستفهامه كان إنكارًا وجحدًا، يقول: ليس للعالمين رب يرسلك فمن هو هذا؟ إنكارًا له. فبيَّن موسى أنَّه معروفٌ عنده وعند الحاضرين وأنَّ آياته ظاهرةٌ بينةٌ لا يمكن معها جحده، وأنكم إنما تجحدون بألسنتكم ما تعرفونه بقلوبكم"[63].

وأما المغالطة الثانية فهي ترك الجواب عن السؤال عمدًا للعجز، ومحاولة التعمية على ذلك بالتوجه للجمهور لإثارتهم والتهكم من موسى وتهويل أمر ما جاء به، لما أجابه موسى بحجة دامغة على سؤال: وما رب العالمين؟ بقوله: {رَبُّ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ} أي: إن كانت لكم قلوب موقنة، وأبصار نافذة، فعند ذلك التفت فرعون إلى من حوله من ملئه ورؤساء دولته قائلا لهم على سبيل التهكم والاستهزاء والتكذيب: أَلا تَسْتَمِعُونَ، أي: ألا تعجبون مما يقول هذا في زعمه أن لكم إلها غيري[64].

والحوار الصادق الذي يناقش الحجة بالحجة ليس فيه استهزاء ولا تهكم، لكنه أراد أن يُغالط بذلك، ويغطي على عجْزِه عن الرد.

ومغالطة فرعون بقوله: {ألا تستمعون} فيها تهويل لمقالة الطرف الآخر، وهي طريقة يلجأ إليها بعض طرفي الحوار للمغالطة، فيهوِّلون أقوال الآخرين، ويحمِّلون كلامهم من الضخامة ما لا يخطر إلا في نفوس مرضى القلوب، لماذا؟ لئلا يتجرأ أحد على القول بمثل ما قالوا، أو نصرة ما ذهبوا إليه.

وأما المغالطة الثالثة فهي ترك المناقشة بالحجة واللجوء إلى السب والتجريح، وهو فعل العاجز، فيحرص على النيل من المتحدث باتهامه بصفة سيئة أو الكلام على شخصه، وما علاقتك بهذا الشخص المتكلِّم؟ المهم أن أمامك دعوى وكلامًا، ومطلوب منك مناقشته بالحجة والبرهان، فدع المتكلم جانبًا، وانظر في الكلام الذي قيل، وما قدره من الخطأ أو من الصواب؛ وبخاصة أن التطاول يقدر عليه أي أحد، لكن مقارعة الحجة بالحجة لا يقدر عليها إلا المؤَيَّدون.

لذلك لجأ فرعون إلى السب والشتم وخرج عن الموضوعية في النقاش واتهام موسى عليه السلام بالجنون: {إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون}.

وأما المغالطة الرابعة فهي امتداد للمغالطات السابقة وتراكمات طبيعية في أسلوب الحوار الفرعوني، فلجأ إلى الترهيب بالقتل والسجن والتنكيل، كعادة الطغاة الذين تنكشف مغالطاتهم فلا يملك إلا إعمال السيف في رقاب الناس، ولنا أن نلحظ أن حوار فرعون قد تدرج على النحو الآتي:

أولًا: في البداية أظهر الإنصاف أو حاوله، فقال: {فأت بآية إن كنت من الصادقين} حتى يظهر أمام رعيته أنه رجل يحترم العقول، ويؤمن بالحجة والبرهان.

ثانيًا: لما جاءه بالآيات حاول فرعون صرْفَها عن حقيقة كونها آية، وزعم أنها سحر، وهو هنا لا يزال يحتفظ لنفسه أمام قومه بالقوة والإنصاف، وإنْ كان قد خادع وكذب بقوله: إن ما جاء به موسى هو سحر، لكنّ ادعاءه ينطلي على جمهور العوام مِن رعيته، وقد وصفه الله باستخفافه لهم، وقلة العقلاء الراشدين بينهم، ومعلوم أن قيادة جموع العقلاء أمر شديد، أما قيادة الهمل الرعاع فهم كالقطيع لا يحتاجون إلا إلى كلب وراعٍ، وما الحيلة إذا كان الراعي جبارًا مِن جبابرة الأرض بوصف القرآن له، وأنه لا يريهم إلا ما يرى؛ فالناس معذورون وقد تعرضوا لما لا قِبلَ لهم به. لكن لا يزال فرعون - رغم مغالطته - يحتفظ أمام رعيته بالمصداقية وطلبه للحق حين ادعى أن موسى ساحر وما جاء به سحر.

ثالثًا: لكن لما آمن السَّحرة أمام الناس بلا تردد، مع أنهم مختارون على عين فرعون ليتحدوا موسى، أصبحت حجة فرعون ضعيفة، بل ضاعت منه الحجة أمام الجمهور، ولم يعد هناك سبيل لإقناع الناس، ثم إنه انبهر وتفاجأ بما حدث للسحرة من الإيمان، فلم يعد يُسيطر على الموقف، ولا يدري كيف يتصرف، فظهرت حقيقة طبعة، وأنه كاذب في حواراته وانكشف ما كان يخفيه من الإنصاف والحوار المنطقي والاستماع إلى البرهان.

رابعًا: حاول فرعون التهكم والتهويل على موسى في يوم الاجتماع بقوله: {ألا تستمعون} لأن موسى عليه السلام هو السلسلة الأضعف؛ لأن فرعون ملك جبار ومعه حاشيته وجنوده ووزراؤه وملك مصر والجمهور المنقاد، فظن فرعون أنه بتهويله وتهكمه سيجعل الناس تستخف بموسى ولا يلتفتون لقوة حجته والبراهين التي قدمها أمامهم.

خامسًا: زاد فرعون من التهويلِ والتهكمِ والسب والشتم والاتهام بالجنون؛ لأنه فقد السيطرة تمامًا ولم يعد الموقف موقف نقاش، وحجج، وبراهين، فقال: {إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون}.

- ولست أدري كيف يستطيع مجنون – كما يزعم فرعون- أن يقود الحوار أمام كل هذه الجموع وتحت سيطرة هذا الجبار؟
- وكيف يستطيع هذا المجنون ألا يخرج عن القضية الرئيسة المطروحة للنقاش ويَنجَرّ إلى حوارات جانبيه حاول فرعون كثيرًا أن يجره إليها؛ للتضليل والتشويش على المستمعين، وليضيع الفكرة الرئيسة؟
- وكيف استطاع مجنون أن يناقش قضيته باستخدام مسلمات يمكن لكل ذِي لُب صافي النية أن يقتنع بها ولو كان كافرًا، كما في قوله: {رب السماوات والأرض)، وقوله: {ربكم ورب آبائكم الأولين}، وقوله: {قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا}؟

فكل هذه أدلة دامغة لا يردها عاقل، إذْ لم يدَّعِ مخلوقٌ على وجه الأرض أنه خلق السماوات والأرض، ولا خلق نفسه ولا خلق آباءه، ولم يدّع مخلوق أنه يُسيّر هذا الكون ويملكه، ويتحكم في المشارق والمغارب، وغاية الأمر انتكاس بعض فطر الملاحدة، من الشبهات التي يكذب بها أكثرهم في أنفسهم ولا يظهرون ذلك.

- وكيف استطاع مجنون أن يلتزم الأدب في الحوار، ولا ينْحطّ مع سَفَه الطرف الآخر المحاور، بل ظل يناقش باتزان، ويلتزم أدب الحوار؟
- لجميع ما سبق طارت حجج فرعون الواهية، ولم ينخدع الناس بمغالطات فرعون، وانتصرت الحجة وظهر تأييد موسى، وآمن الناس، والحمد لله رب العالمين.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزخرف: 46-47) **وفي قوله تعالى:** ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: 51] مغالطة؛ لأنه يستدل بملكه وسلطانه على تحليل فعله واستباحة قهره للناس حتى لو وصل الأمر إلى أن يكلفهم عبادته من دون الله؛ فهو يستنتج من كونه مالك أمرهم والمتحكم في سياستهم أنه مِن حقه أن يقول فلا يُردُّ قوله، ويفعل الناس ما يُؤمَرُون به، وهي نتيجة حجاجية مغالِطة. وقد بَثَّها فرعون هنا ليُرتّبُ عليها تذعين المخاطَبين.

وهنا شبهة تمسك بها فرعون المغالِط وهي أنه لكونه الحاكمَ المالكَ شؤونهم فهو إذن المتصرف فيهم وإلهَهم، وعوضًا مِن أن يقدم دليلا يُثبت به أحقيتَه في العبادة والطاعة في كل شيء،

وهيهات! هرب من الجواب الصحيح وتجاهله، وقدم دليلا يوقِع به الإلباس وهو ملكيته حكمَ البلاد ومِنْ ثَمَّ فهو يستحق العبادة!

ويمكن أن تُبْنى المغالطة في فقرة {أليس لي ملك مصر...} على أنها كلمة حق أريد بها باطل، فلقائل أن يقول: إن فرعون حكَمَ مصر وملَكَها، وكان صاحب السلطان والجاه. فقولُه: أليس لي ملك مصر؟ حق، لكنه أراد بها باطل، فقد أراد بها أن يكون هو الآمر الناهي ما دام هو المالك، وأن يكون السيد والناس عبيدًا، وألا يُناقش في أمرٍ، ولا يُردُّ له قولٌ، حتى إذا أمرهم بعبادة الأصنام أو عبادته هو نفسه استجابوا له مذعنين، وهذا عين الباطل، ففرعون هنا كعادته خرق قوانين الحوار، ويصدق هنا قول التداوليين: إن المتكلم قد يقصد ما يقول أو غير ما يقول أو عكس ما يقول[65].

النتائج:

وبعد، فقد حاولت في هذا البحث الوقوف على الحوار التواصلي بين موسى -عليه السلام- وفرعون، كاشفًا عن المغالطات التي ارتكبها فرعون في حواره مع نبي الله موسى، وكان من أهم النتائج كثرة المغالطات في خطاب فرعون مع موسى وتنوعها، فجاءت على النحو الآتي:

- مغالطة استخدام السلطة والقوة.
- المغالطة العاطفية القائمة على إثارة عواطف الجمهور والتحريض ضد الطرف الآخر.
- المغالطة بقلب الحقائق.
- المغالطة بحمل المتلقين على الإقرار بالمراد.
- المغالطة بالترهيب والتهديد.
- مغالطة الشعور بالعظمة وعدم رؤية الآخرين.
- المغالطة بالجبر والإلزام.
- المغالطة بالهروب عن طريق طرح فكرة مختلفة للتضليل.
- المغالطة بشخصنة الأمور.
- المغالطة بذكر زلات الخصم في الماضي.
- المغالطة بطرح السؤال الإنكاري.
- المغالطة بتهويل أقوال الطرف الآخر.
- المغالطة بالهروب من الحجة إلى السب والشتم والاتهام.

- المغالطة بإرهاب الخصم.
- المغالطة بتذعين المخاطَب.
- المغالطة بكلمة حق يراد بها باطل.

ونلحظ أن أكثر مغالطات فرعون هي باستخدام السلطة والإرهاب والإجبار وتذعين المخاطب، والكذب والتدليس؛ مما يدل على شخصية متجبرة ظالمة تصادر آراء الآخرين، ولا تقبل الحوار.

الهوامش والإحالات

(1) ينظر: الجوهري، الصحاح: 1147/3. الفيومي، المصباح المنير: 490.
(2) ينظر: الجوهري، الصحاح: 1147/3. الفيومي، المصباح المنير: 450/2.
(3) ينظر: النويري، الأساليب المغالطية: 406.
(4) ينظر: الراضي، السفسطات: 779/2.
(5) الجرجاني، التعريفات: 118.
(6) مصطفى، المغالطات المنطقية: 18.
(7) ينظر: بوفناز، وعليوات، المغالطات الحجاجية: 712.
(8) ينظر: شعبان، وبلحاجي، المغالطات والسفسطات: 291، 300.
(9) ينظر: حبنكة، ضوابط المعرفة: 305.
(10) ينظر: العمري، دائرة الحوار: 30، 31.
(11) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: 482/2.
(12) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة: 249/3-251.
(13) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: 226/2-228. الزبيدي، تاج العروس: 464/5.
(14) ينظر: صوله، في نظرية الحجاج: 13.
(15) ينظر: العزاوي، اللغة والحجاج: 126.
(16) ينظر: الناجح، تداولية الضّمني والحجاج: 118.
(17) ينظر: حمو، الاستلزام الحواري في خطابات إبراهيم: 21.
(18) ينظر: نحلة، آفاق جديدة: 32، 33.
(19) ينظر: عامر، وحمدان، الاستلزام الحواري عند بول غرايس: 27. الشهري، إستراتيجيات الخطاب: 96، 97.
(20) ينظر: إبراهيم، مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي: 98.
(21) ينظر: كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية: 115.

(22) عبد الرحمن، إستراتيجيات الخطاب: 238.

(23) ينظر: عبد الرحمن، إستراتيجيات الخطاب: 238.

(24) خضير، الاستلزام الحواري في شعر أحمد مطر: 159.

(25) بوقرة، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية: 170.

(26) الخازن، لباب التأويل: 234/2.

(27) حمو، الاستلزام الحواري في خطابات إبراهيم: 30.

(28) البغوي، شرح السنة: 2669/11.

(29) ابن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: 79.

(30) ينظر: قادا، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية: 187.

(31) الناصري، التيسير في أحاديث التفسير: 254/2.

(32) ينظر: حمو، الاستلزام الحواري في خطابات إبراهيم: 31.

(33) ينظر: إبراهيم، مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي: 108.

(34) الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 327/18.

(35) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 165/3.

(36) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 301/5.

(37) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 300.

(38) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن: 36/13 - 38

(39) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 459/3.

(40) ينظر: طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 354/5.

(41) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 56/9.

(42) الرازي، مفاتيح الغيب: 599/24.

(43) ينظر: الراجحي، توفيق رب العباد: 37 – 39.

(44) زحاف، المغالطات الحجاجية: 58.

(45) ينظر: بلبع، المغالطة الحجاجية: 22.

(46) الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)،506/27

(47) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 139/7.

(48) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 278/12.

(49) نفسه: 357/5.

(50) البغوي، معالم التنزيل: 222/2

(51) طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: 358/5.

(52) ينظر: نفسه: 358/5، 359.

(53) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 111/4.

(54) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 310/15

(55) ينظر: الزمخشري، الكشاف: 164/4.

(56) النورسي، إشارات الإعجاز: 04.

(57) ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 124/6.

(58) ينظر: الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 63/7.

(59) النيسابوري، غرائب القرآن: 266/5.

(60) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير: 146/8.

(61) الطبري، تفسير الطبري: 560/17.

(62) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن: 465/3.

(63) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 334/16.

(64) الجوزي، زاد المسير في علم التفسير: 338/3.

(65) ينظر: إبراهيم، مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي: 108.

قائمة المصادروالمراجع:

1) إبراهيم، أنمار، مفهوم نظرية الاستلزام التخاطبي، مجلة ديالى، العراق، ع71، 2016م.
2) الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م.
3) البغوي، الحسين البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
4) البغوي، الحسين بن مسعود، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، 1983م.
5) بلبع، عيد، المغالطة الحجاجية في سياق الاستشهاد تأصيل منهجي، مجلة سياقات اللغة والدراسات البينية، مج2، ع5، 2017م.
6) ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد للطباعة، المدينة المنورة، 1995م.
7) أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.
8) الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.
9) الجوزي، عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1422هـ.

10) الجوهري، إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1987م.
11) حبنكة، عبد الرحمن، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، دار القلم، بيروت، 1975م.
12) الحسن النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ.
13) الخازن، علاء الدين علي، لباب التأويل في معاني التنزيل، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.
14) خضير، باسم، الاستلزام الحواري في شعر أحمد مطر، بحث مقدم للمؤتمر العلمي الدولي التاسع، المؤتمر العلمي الدولي التاسع، كلية التربية، جامعة واسط، العراق، 2016م.
15) الدرويش، محيي الدين، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد، حمص، دار اليمامة، بيروت، دار ابن كثير، بيروت، د.ت.
16) الراجحي، عبد العزيز، توفيق رب العباد في شرح كتاب تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد للإمام الصنعاني، دار ابن الجوزي، السعودية، 1430هـ
17) الرازي، محمد، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
18) الراضي، رشيد، السفسطات في المنطقيات المعاصرة: التوجه التداولي الجدلي، (ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، د.ن، د.ب. 2010م.
19) بن زحاف، يوسف، المغالطات الحجاجية وأهميتها التواصلية، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، الجزائر، ع49، 2019م.
20) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، الرياض، دار إحياء التراث، بيروت، 1965م.
21) الزمخشري، محمود عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407هـ.
22) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م.
23) شعبان، توفيق، وبلحاجي،فتيحة، المغالطات والسفسطات المنطقية في بخلاء الجاحظ، مجلة دراسات معاصرة، الجزائر، مج5، ع2، 2021م.
24) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب - مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، 2004م.
25) صولة، عبد الله، في نظرية الحجاج: دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع، تونس، 2011م.
26) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
27) طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م.

28) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
29) عامر، سمية، وحمدان، سليم، الاستلزام الحواري عند بول غرايس - المفهوم والمقومات، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، الجزائر، مج2، ع3، 2019م.
30) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2000م.
31) عبد الرحمن، طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998م.
32) العزاوي، أبو بكر، اللغة والحجاج، العمدة في الطباعة، الدار البيضاء، 2006م.
33) العمري، محمد، دائرة الحوار ومزالق العنف، كشف أساليب الإعنات والمغالطة، مساهمة في تخليق الخطاب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2002م.
34) بوفناز، حسين، وعليوات، سامية، المغالطات الحجاجية وفن صناعة الجهل في الخطاب السياسي المعاصر - دونالد ترامب أنموذجا، مجلة المدونة، الجزائر، مج6، ع3، 2019م.
35) الفيومي، المصباح المنير، دار المعارف، بيروت، د.ت.
36) قادا، عبد العالي، بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016م.
37) بوقرة، نعمان، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية، قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، ع17، 2006م.
38) القرطبي، محمد أحمد، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م.
39) كادة، ليلى، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية "ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجًا"، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر، د.ت.
40) ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1999م.
41) كوثر، حمو، الاستلزام الحواري في خطابات إبراهيم –عليه السلام، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2016م- 2017م.
42) مصطفى، عادل، المغالطات المنطقية - فصول في المنطق غير الصوري، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2019م.
43) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
44) الناجح، عز الدين، تداولية الضّمني والحجاج بين تحليل الملفوظ وتحليل الخطاب - بحوث ومحاولات، مركز النشر الجامعي، تونس، 2015م.

45)الناصري، محمد المكي، التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985م.
46)نحلة، محمود، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002م.
47)أبو نعيم أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة، مصر، 1974م.
48)النورسي، بديع الزمان، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تحقيق: إحسان قاسم، شركة شوزلر للنشر، القاهرة، 2002م.
49)النويري، محمد، الأساليب المغالطية مدخلا في نقد الحجاج، (ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، سلسلة آداب جامعة منوبة، تونس، د.ت.

Arabic References

1) al-Nūwayrī, Muḥammad, al-Asālīb al-Muġālaṭīyah Madẖlā fī Naqd al-Ḥaǧǧāǧ, (Ḍimna Kitāb ʾAhamm Naẓarīyāt al-Ḥaǧǧāǧ fī al-Taqālīd al-Ġarbīyah min ʾAristū ʾilá al-Yawm), Silsilat Ādāb Ǧāmiʿat Manūbah, Tūnis, N. D.
2) ʿAbdalraḥmān, Ṭaha, al-Lisān & al-Mīzān & al-Takawṯur al-ʿAqlī, al-Markaz al-Ṯaqāfī al-ʿArabī, al-Dār al-Bayḍāʾ, 1998.
3) al-Šahrī, ʿAbdalhādī, ʾIstirātīǧīyāt al-Ḫiṭāb-Muqārabah Luġawīyah Tadāwulīyah, Dār al-Kitāb al-Ǧadīd al-Muttaḥidah, Lībīyā, 2004.
4) ʿĀmir, Sumaīyah, & Ḥamdān, Salīm, al-ʾIsitlzām al-Ḥūwārī ʿinda Būl ġrāys-al-Mafhūm & al-Muqawwimāt, Maǧallat al-Qāriʾ lil-Dirāsāt al-ʾAdabīyah & al-naqdīyah & al-Luġawīyah, al-Ǧazāʾir, V 2, I 3, 2019.
5) Kawṯar, Ḥammū, al-ʾIsitlzām al-Ḥūwārī fī Ḫiṭābāt ʾIbrāhīm – ʿAlayhi al-Salām – dirāsah Tadāwulīyah, PhD Thesis, Ǧāmiʿat Qāṣidī Mirbāḥ, Warqalah, al-Ǧazāʾir, 2016m-2017.
6) Ḫuḍayr, Bāsim, al-ʾIsitlzām al-Ḥūwārī fī Šiʿr ʾAḥmad Maṭar, baḥṯ muqaddam lil-Mūʾtamar al-ʿIlmī al-Dawlī al-Tāsiʿ, al-Mūʾtamar al-ʿIlmī al-Dawlī al-Tāsiʿ, Kullīyat al-Tarbiyah, Ǧāmiʿat Wāsiṭ, al-ʿIrāq, 2016.
7) al-Nūrsī, Badīʿ al-Zamān, ʾIšārāt al-ʾIʿǧāz fī Maẓān al-ʾĪǧāz, ed. ʾIḥsān Qāsim, Šarikat Šwzlr lil-Našr, al-Qāhirah, 2002.
8) al-Darwīš, Muḫyī al-Dīn, ʾIʿrāb al-Qurʾān & Bayānih, Dār al-ʾIršād, Ḥimṣ, Dār al-Yamāmah, Bayrūt, Dār ibn Kaṯīr, Bayrūt, N. D.
9) Naḥlah, Maḥmūd, Āfāq Ǧadīdah fī al-Baḥṯ al-Luġawī al-Muʿāṣir, Dār al-Maʿrifah al-Ǧāmiʿīyah, Miṣr, 2002.

10) ʾAbū Ḥayyān, al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr, Dār al-Fikr, Bayrūt, 1420.
11) Qādā, ʿAbdalʿālī, Balāġat al-ʾIqnāʿ Dirāsah Naẓarīyat & Taṭbīqīyah, Dār Kunūz al-Maʿrifah lil-Našr & al-Tawzīʿ, ʿAmmān, 2016.
12) al-Zabīdī, Tāğ al-ʿArūs min Ğawāhir al-Qāmūs, Dār al-Hidāyah, al-Riyāḍ, Dār Iḥyāʾ al-Turāṯ, Bayrūt, 1965.
13) ibn ʿĀšūr, Muḥammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr & al-Tanwīr (taḥrīr al-Maʿná al-Sadīd & Tanwīr al-ʿAql al-Ğadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Mağīd), al-Dār al-Tūnisīyah lil-Našr, Tūnis, 1984h.
14) al-Nāğiḥ, ʿIzzaldīn, Tadāwulīyah al-Ḍimnī & al-Ḥağğāğ bayna Taḥlīl al-Malfūẓ & Taḥlīl al-Ḫiṭāb-Buḥūṯ & Muḥāwalāt, Markaz al-Našr al-Ğāmiʿī, Tūnis, 2015.
15) al-Ğurğānī, al-Taʿryfāt, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1983.
16) ibn Kaṯīr, ʾIsmāʿīl, Tafsīr al-Qurʾān al-ʿAẓīm, ed. Sāmī Muḥammad Salāmah, Dār Ṭaybah lil-Našr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1999.
17) Ṭanṭāwī, Muḥammad, al-Tafsīr al-Wasīṭ lil-Qurʾān al-Karīm, Dār Nahḍat Miṣr lil-Ṭibāʿah & al-Našr & al-Tawzīʿ, al-Qāhirah, 1998.
18) al-ʾAzharī, Tahḏīb al-Luġah, ed. Muḥammad ʿAwaḍ Murʿib, Dār Iḥyāʾ al-Turāṯ al-ʿArabī, Bayrūt, 2001.
19) al-Rāğiḥī, ʿAbdalʿazīz, Tawfīq Rabb al-ʿIbād fī Šarḥ Kitāb Taṭhīr al-Iʿtiqād ʿan ʾAdrān al-ʾIlḥād lil-ʾImām al-Ṣanʿānī, Dār ibn al-Ğawzī, al-Suʿūdīyah, 1430.
20) ʿAbdalraḥmān al-Saʿdī, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān, ed. ʿAbdalraḥmān ibn Muʿallā al-Luwayḥiq, Mūʾassasat al-Risālah, Bayrūt, 2000.
21) al-Nāṣirī, Muḥammad al-Makkī, al-Taysīr fī ʾAḥādīṯ al-Tafsīr, Dār al-Ġarb al-ʾIslāmī, Bayrūt, 1985.
22) al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Ğarīr, Ğāmiʿ al-Bayān fī Taʾwīl al-Qurʾān, Mūʾassasat al-Risālah, Bayrūt, 2000.
23) al-Qurṭubī, Muḥammad ʾAḥmad, al-Ğāmiʿ li-ʾAḥkām al-Qurʾān (Tafsīr al-Qurṭubī), ed. ʾAḥmad al-Baraddūnī & ʾIbrāhīm ʾAṭafīš, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1964.
24) ʾAbū Naʿīm ʾAḥmad ibn ʿAbdallāh, Ḥilyat al-ʾAwlīyāʾ & Ṭabaqāt al-ʾAṣfīyāʾ, Maṭbaʿat al-Saʿādah, Miṣr, 1974.

25) al-ʿUmarī, Muḥammad, Dāʾirat al-Ḥiwār & Mazāliq al-ʿUnf, Kašf Asālīb al-ʾIʿnāt & al-Muġālaṭah, Musāhamah fī Taḫlīq al-Ḫiṭāb, ʾAfrīqiyā al-Šarq, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2002.

26) al-Ǧawzī, ʿAbdalraḥmān, Zād al-Musayyar fī ʿIlm al-Tafsīr, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 1422H.

27) al-Rāḍī, Rašīd, al-Safsaṭāt fī al-Manṭiqīyāt al-Muʿāṣirah: al-Tawaǧǧuh al-Tadāwlī al-Ǧadalī, (Ḍimna Kitāb al-Ḥaǧǧāǧ Mafhūmuhu & Maǧālātuhu, dirāsah Naẓarīyat & taṭbīqīyah fī al-Balāġah al-Ǧadīdah, D. N, D. B. 2010.

28) al-Baġawī, al-Ḥusayn ibn Masʿūd, Šarḥ al-Sunnah, ed. Šuʿayb al-ʾArnaʾūṭ, & Muḥammad Zuhayr al-Šāwīš, al-Maktab al-ʾIslāmī, Dimašq, Bayrūt, 1983.

29) al-Ǧawharī, ʾIsmāʿīl al-Ǧawharī, al-Ṣiḥāḥ Tāǧ al-Luġah & Ṣiḥāḥ al-ʿArabīyah, ed. ʾAḥmad ʿAbdalġafūr ʿAṭṭār, Dār al-ʿIlm lil-Malāyīn, Bayrūt, 1987.

30) Ḥabanakah, ʿAbdalraḥmān, Ḍawābiṭ al-Maʿrifah & ʾUṣūl al-Īstidlāl & al-Munāẓarah, Dār al-Qalam, Bayrūt, 1975.

31) al-Ḥasan al-Nīsābūrī, Ġarāʾib al-Qurʾān & Raġāʾib al-Furqān, ed. Zakarīyā ʿUmayrāt, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1416.

32) Ṣūlah, ʿAbdallāh, fī Naẓarīyat al-Ḥaǧǧāǧ: Dirāsāt & Taṭbīqāt, Miskīliyānī lil-Našr & al-Tawzīʿ, Tūnis, 2011.

33) al-Zamaḫšarī, Maḥmūd ʿAmr, al-Kaššāf ʿan Ḥaqāʾiq Ġawāmiḍ al-Tanzīl, Dār al-Kitāb al-ʿArabī, Bayrūt, 1407.

34) al-Ḫāzin, ʿAlāʾ al-Dīn ʿAlī, Lubāb al-Taʾwīl fī Maʿānī al-Tanzīl, ed. Muḥammad Šāhīn, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 1415.

35) ibn Manẓūr, Lisān al-ʿArab, Dār Ṣādir, Bayrūt, 1414.

36) al-ʿAzzāwī, ʾAbūbakr, al-Luġah & al-Ḥuǧāǧ, al-ʿUmdah fī al-Ṭibāʿah, al-Dār al-Bayḍāʾ, 2006.

37) ibn Taymīyah, Taqī al-Dīn ʾAḥmad, Maǧmūʿ al-Fatāwá, Maǧmaʿ al-Malik Fahd lil-Ṭibāʿah, al-Madīnah al-Munawwarah, 1995.

38) ibn Sīdah, al-Muḥkam & al-Muḥīṭ al-ʾAʿẓam, ed. ʿAbdalḥamīd Hindāwī, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt, 2000.

39) al-Fayyūmī, al-Miṣbāḥ al-Munīr, Dār al-Maʿārif, Bayrūt, N. D.

40) al-Baġawī, al-Ḥusayn al-Baġawī, Maʿālim al-Tanzīl fī Tafsīr al-Qurʾān (Tafsīr al-Baġawī), ed. ʿAbdalrazzāq al-Mahdī, Dār Iḥyāʾ al-Turāṯ al-ʿArabī, Bayrūt, 1420h.

41) ibn Zaḥḥāf, Yūsuf, al-Muġālaṭat al-Ḥiğāğīyah & ʾAhammīyatuhā al-Tawāṣulīyah, Mağallat Ğīl al-Dirāsāt al-ʾAdabīyah & al-Fikrīyah, al-Ğazāʾir, ʿ49, 2019.

42) Būfnāz, Ḥusayn, & ʿAlīwāt, Sāmyah, al-Muġālaṭat al-Ḥiğāğīyah & Fann Ṣināʿat al-Ğahl fī al-Ḥiṭāb al-Siyāsī al-Muʿāṣir-Donald Trump ʾAnmūḏağan, Mağallat al-Mudawwanah, al-Ğazāʾir, V 6, I 3, 2019.

43) Muṣṭafá, ʿĀdil, al-Muġālaṭat al-Manṭiqīyh-Fuṣūl fī al-Manṭiq ġayr al-Ṣūrī, Mūʾassasat Hindāwī, al-Mamlakah al-Muttaḥidah, 2019.

44) Šaʿbān, Tawfīq, & Bilḥāğī, Fatīḥah, al-Muġālaṭat & al-Safsaṭāt al-Manṭiqīyh fī Buḥalāʾ al-Ğāḥiẓ, Mağallat Dirāsāt muʿāṣirah, al-Ğazāʾir, V 5, I 2, 2021.

45) Balbaʿ, Īd, al-Muġālaṭah al-Ḥiğāğīyah fī Siyāq al-Istišhād Taʾṣīl Manhağī, Mağallat Siyāqāt al-Luġah & al-Dirāsāt al-Baynīyah, V 2, I 5, 2017.

46) al-Rāzī, Muḥammad, Mafātīḥ al-Ġayb (al-Tafsīr al-Kabīr), Dār Iḥyāʾ al-Turāṯ al-ʿArabī, Bayrūt, 1420.

47) ʾIbrāhīm, ʾAnmār, Mafhūm Naẓarīyat al-ʾIsitlzām al-Taḫāṭubī, Mağallat Dīyālá, al-ʿIrāq, I 71, 2016.

48) Kādah, Laylá, al-Mukawwan al-Tadāwlī fī al-Naẓarīyah al-Lisānīyah al-ʿArabīyah "Ẓāhirat al-ʾIsitlzām al-Taḫāṭubī ʾAnmūḏağan", PhD Thesis, Ğāmiʿat al-Ḥāğğ Laḫḍar Bātinah, al-Ğazāʾir, N. D.

49) Būqirrah, Nuʿmān, Naḥwa Naẓarīyat Lisānīyah ʿArabīyah lil-ʾAfʿāl al-Kalāmīyah, Qirāʾah Istikšāfīyah lil-Tafkīr al-Tadāwlī fī al-Mudawwanah al-Lisānīyah al-Turāṯīyah, Mağallat al-Luġah & al-ʾAdab, al-Ğazāʾir, I 17, 2006.